

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إذا يا أحبة: جهاد النفس - وإن كان متعدد المراحل - نحن نقتصره على مرحلتين:

المرحلة الأولى: لحدوث التوازن بين النفس وبين الحقائق الراقية والعالية في الإنسان، فيكون الإنسان في صحة روحانية وجسمانية مشمولاً بعناية رب البرية عز وجل. يدخل في قول الله عز وجل: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (٩٧ النحل)، والحياة الطيبة: هي التي فيها راحة البال، وراحة النفس، لأن الإنسان ما دامت نفسه يراقبها ويلومها ويعاتبها فلن تسمح له بأن يؤنبها على شيء فتمتثل لأمر خالقها وباريها عز وجل.

الجهاد في هذه المرحلة - كما ذكرنا - ترك كل الأخلاق المذمومة التي نهي عنها الله جملة واحدة: (الله وليُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) (٢٥٧ البقرة) من ظلمات النفس إلى نور القلب والروح والصفاء والمشاهدة.

والتجمل بالأخلاق الطيبة التي ذكرها الله عز وجل في قرآنه، وتجددها عند كلمة (يُحِبُّ): (وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (١٩٥ البقرة)، (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) (٢٢٢ البقرة)، (بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) (آل عمران)، (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (١٣٤ آل عمران)، (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْإِسْرَارِينَ) (١٤٦ آل عمران)، (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) (٤٢ المائدة). تجمع هذه الآيات.

وكذلك أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَّقِنَهُ)^١، (إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكِرَامَ وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا)^٢. وهكذا، ويمتثل لأوامر الله في العبادات في التوقيعات التي حددها الله عز وجل: (إِنَّ الَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا) (١٠٣ النساء).

هذا الجهاد لتغذية النفس من اللبس، وحفظ الجسم لتقوية جهاز المناعة في جسم الإنسان، فلا يتعرض للأمراض المستعصية، ولذلك في ع. رنا كما تنبأ ابيب صلى الله عليه وسلم: (لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّىٰ يَعْمَلُوا بِهَا، إِلَّا ظَهَرَ فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَصَّتْ فِي أَسْلَافِهِمْ)^٣.

لأن الذين قبلنا كانوا يسرون في هذا الجهاد، والأمراض المستجدة في هذا الع. ر سببها الأساسي اهتزاز النفس ولبسها وعمها عن الطريق الذي خلقها الله عز وجل وأرشدنا إليه.

المرحلة الثانية: بعد ذلك تتجمل بالجماليات والكمالات الإلهية الربانية التي كنت عليها قبل النزول إلى الدنيا، وهذا مقام آخر يحتاج إلى جهاد آخر، مشى عليه ابيب صلى الله عليه وسلم، ومشى عليه أتباع ابيب صلى الله

^١ معجم الطبراني والبيهقي عن عائشة ؓ

^٢ اكم في المستدرک والبيهقي عن سهل بن سعد رضي الله عنه

^٣ اكم في المستدرک وابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما

عليه وسلّم إلى يوم الدين. فالإنسان قبل نزوله إلى الدنيا كان يتمتع بالجمال العالى، ثم بعد نزوله إلى الدنيا تنزل الحُجُب، هذه الحُجُب قال فيها صلّى الله عليه وسلّم: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ذُونَ سَبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ مِنْ نُورٍ وَظُلْمَةٍ، وَمَا يَسْمَعُ مِنْ نَفْسٍ شَيْئًا مِنْ حَسَنِ تِلْكَ الْحُجُبِ إِلَّا زَهَقَتْ) ^٤، وفي رواية أخرى: (حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ) ^٥.

الحُجُب الكثيرة الموجودة على الإنسان سمّاها القرآن الران: (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ. كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) (١٤، ١٥ المطففين). وما الذي ران على القلوب؟ حجاب حب الدنيا، وحجاب الطمع، وحجاب حب الجاه وحب الرياسة، وحجاب الأمل في الدنيا الفانية... هذه كلها حُجُب تحجب الإنسان عن فضل الرحمن عزَّ وجلَّ الذي قدره لعباد الرحمن في القرآن.

والحُجُب كثيرة، فهناك حُجُب للعقل، وهناك حُجُب للقلب، وهناك حُجُب للسرِّ، وهناك حُجُب للخفا، وهناك حُجُب للأخفى، وهناك حُجُب للروح، ونحن لا نتكلم في التفاصيل لكن مجرد إشارات وتنبهات للأحبة حتى يرجعوا إلى منهج الأحبة. كيف أكشف هذه الحُجُب؟ أعرف الأعداء الأساسيين الذين أنا أحارِبهم، وقد جمعهم الإمام الشافعي رضي الله عنه في بيت من الحكمة وقال فيه:

إبليس والدنيا ونفسي والهوى
كيف الخلاص وكلهم أعدائي

كم عدد الذين أعلنوا الحرب عليك؟ أربعة، إبليس، والدنيا، والنفس، والهوى.

العدو الأول: إبليس: (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) (٦ فاطر)، ما سلاح الشيطان الذي يدخل به إلى الإنسان؟ الشبع، قال صلّى الله عليه وسلّم: (إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ، فَضَيِّقُوا مَجَارِيَهُ بِالْجُوعِ) ^٦. فسلاحى ضد الشيطان الجوع، وليس معنى ذلك أن لا نأكل، ولكن كما ورد في الأثر: (نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع) ^٧، وكما قال الإمام علي رضي الله عنه: (إن الإنسان إذا شبع جمحت نفسه به إلى المعصية). فعندما تمتليء الأوردة والعروق بالدماء بعد الطعام فإن الإنسان قد يفكر في المعصية، قال صلّى الله عليه وسلّم للسيدة عائشة رضي الله عنها: (ذَاوَمِي قَرَعَ بَابِ الْجَنَّةِ، قَالَتْ: بِمَاذَا؟ قَالَ: بِالْجُوعِ) ^٨. (صوموا تصحوا) ^٩.

مشكلة المشاكل في العصر الحديث أن الناس همّها كله في شهوة الطعام والشراب!! لكن أنا أريد ان أكون من الذين أنعم الله عليهم، فلذلك لا بد أن أسير على هذا المنهاج: ((نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع)).

^٤ معجم الطبراني عن سهل بن سعد رضي الله عنه

^٥ صحيح مسلم وابن ماجه عن عبد الله بن قيس رضي الله عنه

^٦ ذكر في الإحياء، وقال العراقي متفق عليه دون قوله "فضيقوا مجاريه بالجوع"

^٨ ذكر في الإحياء

وكيف نأكل؟ آكل على أن الجوع مرض، وآخذ الدواء الذي يقضي على هذا العَرَض، ما مقدار الجرعة؟ نسأل الطبيب، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فَثَلُّتُ لَطْعَامِهِ وَثَلُّتُ لِشَرَابِهِ وَثَلُّتُ لِنَفْسِهِ)^{١٠}.

الإمام الجنيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان يقول: ((لأن أنقص من عشائي لقمة أحب إلي من قيام ليلة))، لو كنت آكل رغيفاً فأنقصته إلى ثلاثة أرباع رغيف فهذا أفضل من قيام ليلة، ولو أنقصته إلى نصف رغيف فهذا هو الجهاد. وهذا لا يؤثر على الجسم، لأن الجسم يأخذ ما يكفيه من الغذاء، وما زاد يتحول للمتاعب والمشاكل، فمعظم متاعب النفس في العصر الحديث من الجهاز الهضمي وما يتبعه، وكل ذلك بسبب كثرة الأكل، لكن الإنسان لو مشى على هذا الوضع الإلهي فلن يكون هناك تعب، وسيرتاح من كثرة دخول دورات المياه، وسيظل متوضئاً لفترات طويلة بين يدي الذي لا يغفل ولا ينام، وستكون أعماله أضعافاً مضاعفة في الأجر لأنه يعبد الله عزَّ وجلَّ على وضوء وعلى طهارة. كل الأعضاء في الجسم سترتاح، الكبد والكليتين والمعدة، ولن يحدث لها تعب، لأن هذه الأعضاء هي السبب الرئيسي في معظم الأمراض العصرية لمن لا يستطيع أن يمسك زمام الفم.

لكن الذي يريد أن يغلب الشيطان ولا يكون له عليه سلطان فعليه سلاح: ((جوعوا تصحوا))^{١١}، فلا يأكل إلا للضرورة التي لا غنى عنها لقوام الحياة، وإقامة أود الإنسان.

العدو الثاني: الدنيا، كيف تحاربي الدنيا؟ بالخلق، أريد أن أحادثهم، وأن أجلس معهم، وأن أظهر بينهم، ويكون لي وضع مميز بينهم:

والخلق فتنة من أردت صدوده وشهود أهل البعد في الأكوان

والعلاج هنا البعد عن الخلق إلا للضرورات، وأقلع على الأقل من قال وقيل، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا، قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ)^{١٢}. فأول شيء يكرهه لنا الله القيل والقال، وإذا كان الله عزَّ وجلَّ يكرهها فلماذا أضع نفسي فيها؟! وهذه ليست خلوة بل عزلة بسيطة عن الخلق، فيكون الكلام على حسب الضرورات، ولكن أتكلم مع الذي لا يغفل ولا ينام، يقول الله تعالى: (أَنَا جَلِيسٌ مَنْ ذَكَرَنِي)^{١٣}.

(فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) (٢٩ النجم)، إياك من مجالسة الظالمين لأنفسهم، والواقعين في المعاصي، وفي القيل والقال، والغيبة والنميمة، ولو ركنت إليهم، أو حتى وقع في نفسك أن تكون معهم ستتمسك نار البعد التي هم فيها، والركون يكون بالقلب، أي مجرد أي فكرت في نفسي أن أجلس معهم ستقع الإصابة في الفؤاد والقلب والعباد بالله: (وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ) (١٣ هود)، نار البعد، ونار الصدود عن الله عزَّ وجلَّ.

^{١٠} جامع الترمذي وصحيح ابن حبان عن المقدم بن معدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

^{١٢} البخاري ومسلم عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

^{١٣} بحر الفوائد للكلاي، وأحاديث أبي الحسين الكلابي عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

إذاً ماذا أفعل مع هؤلاء؟ المؤمن عندما يعزم عزمًا أكيداً يُلهمه الله بحسن التخلص، فالمؤمن ليس عنده وقت، فأنا كنت أعتقد أنني عندما أحال إلى المعاش سيصبح عندي وقت واسع، ولكن أصبح الوقت بالنسبة لي لا يكفي بسبب كثرة البرامج الطويلة، لأنه لا بد أن يكون لك برنامج مع الله عزَّ وجلَّ تريد أن تنتهي منه.

إذاً لا بد من إقلال لقاء الخلق، لأن سلامة المرء في الإقلال من لقاء الخلق المشغولين بالدنيا والأهواء والشهوات، فلو جلست معهم سيتكلمون في السياسة أو غيرها، وهذا الكلام يعمل على تسويد صحائف القلب والعباد بالله، وإذا كان قلبي قد صفا ببعض الذكر قبل هذا الجلوس معهم فقد ضاع، وعندما أقابل الله عزَّ وجلَّ عند النوم، لا أستطيع النوم، لأني أجد كثيراً من الشرائط المنسوخة في هذه الجلسة التي جلستها مع هؤلاء القوم، وقالوا في ذلك ::

فأقلل من لقاء الخلق إلا لنيل العلم أو إصلاح حال

فلا يكون لقاء الخلق إلا من أجل أن أستزيد في العلم الإلهي، أو لإصلاح حالي مع الله عزَّ وجلَّ، لكن بعد ذلك لا وقت عندي لأحد، وهذا سلاح الدنيا الذي تجر به الإنسان وتبعده عن حضرة الرحمن عزَّ وجلَّ.

العدو الثالث: النفس، ما وظيفة النفس التي تبعد الإنسان عن الله؟ تريد للإنسان الجمود والجمود والقعود والكسل وعدم الرغبة في القيام بعبادة الواحد الأحد عزَّ وجلَّ، فإذا قام لصلاة الفجر تقول له: ما زال الوقت مبكراً، وتحته على النوم مرة أخرى، فإذا سمع كلامها، سيستيقظ فيجد قد فاتته الوقت وهو لا يدري، فإذا تكرر الأمر فسيجد الشمس قد طلعت ولم يستيقظ للصلاة!!

وإذا نوى زيارة أخ له في الله، فتقول له النفس: قد تذهب فلا تجده، اتصل به بالتليفون فقط، فهذه هي طبيعة النفس، تُجَمِّد الإنسان، وتُحَمِّد الإنسان، وتُكسِل الإنسان، ولذلك يقول إمامنا أبو العزائم رضي الله عنه:

فهيا يا مريد الوصل وانهض ودع عنك التقاعد والتواني

أو .. (دع عنك التقاعد والتواني). ما علاج ذلك؟

لا بد أن يكون لي سهر بين يدي الله في الأوقات التي طلب من الأحبة أن يكونوا فيها أيقاظاً بين يديه جلَّ في علاه. متى؟ (وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) (١٨ الذاريات)، لأنه هو الوقت الذي ينادي فيه الله عزَّ وجلَّ على عباده، فإذا نادى عليَّ يجب أن ألبى، قال صلى الله عليه وسلم: (إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ أَوْ نِصْفُ اللَّيْلِ، نَزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَقَالَ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأُجِيبَهُ؟ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ)^{١٤}. هل يليق بمن يريد فضل الله وإكرام الله جلَّ في علاه أن ينام والله عزَّ وجلَّ ينادي على عباده؟! . والذي يريد الشهود: (إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) (١٧٨ الإسراء).

إذاً لا بد أن يكون للسالك كما قال الحبيب صلى الله عليه وسلم: (عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ دَابُّ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَقُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ، وَتَكْفِيرٌ لِلْسَيِّئَاتِ، وَمَنْهَةٌ عَنِ الْإِثْمِ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ)^{١٥}. هذا طريق الصالحين:

^{١٤} مسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

^{١٥} سنن البيهقي والترمذي عن بلال بن رباح رضي الله عنه

(كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ. وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) (١٧، ١٨ الذاريات)، لا يقضون الليل على النت، ولكن يقضونه بين يدي الله عز وجل: (وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا) (٦٤ الفرقان)، ليس للشيطان ولا للفيس بوك ولا للهوى ولا غيره!.

هذا علاج النفس، من انتصر على نفسه قديماً أو حديثاً بدون هذه القومة لله؟ لا أحد، ((من لم يكن له في بدايته قومة لم يكن له في نهايته مع الله عز وجل جلسة)).

قد يقول قائل: كيف أسهر وفي الصباح سيكون معي عمل؟ فنقول له: لو صدقت مع الله حول الله عز وجل لك المحال إلى حال، فسيدنا عمر رضي الله عنه لم يكن ينام بالليل ولا النهار إلا قليلاً بين الظهر والعصر، وكان يقول في ذلك: ((لو نمت ليلاً ضيعت نفسي، ولو نمت نهاراً فقد ضيعت رعيتي، فجعلت ليلي لربي ونهاري لرعيتي)) فأعانه الله عز وجل.

والإمام أبو حنيفة رضي الله عنه كان ماشياً فسمع رجلاً يشير إليه ويقول: هذا الذي يصلي الفجر بوضوء العشاء، فقال: وجبت وإلا سأكون من المنافقين، فصلّى الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة!!، وبطل حتى شروق الشمس، وكان في الصباح يفتح الحانوت في السوق، وبعد صلاة الظهر يبدأ دروسه في مدرسته لتعليم الفقه الذي وهبه له الله جلّ في علاه، وكان ينام لحظات، والإنسان في ساعات الصفاء فإن اللحظة الواحدة من النوم تُغني عن أيام في المنام.

الإنسان البعيد عن الله قد ينام أياماً معدودة ويشعر بأنه لم يشبع من النوم، لكن إذا كان في حالة صفاء مع الله فلحظة واحدة يتمتع فيها بالهناء العالی، ويكون للنوم مذاق عظيم، لأن الجسم يكون على التراب والروح في الملاء الأعلى مع رب الأرباب عز وجل، واللحظة من هذه لا تساويها أيام معدودات في النوم:

تم هيكلي فالروح يقظى مشوقة لأصلها العالی ليست من التراب

وهذا هو السلاح الذي سأقضي به على لم وبدوات وهفوات النفس.

العدو الرابع: الهوى، والهوى مشكلة المشاكل كلها: (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ. فَإِنَّ

الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) (٤٠، ٤١ النازعات).

أين يظهر الهوى؟ في فلتات اللسان، ففلتات اللسان تُظهر ما في القلب وما في الجنان، يريد أن يتكلم كثيراً. ما العلاج؟ الصمت: ((الصمت حكم وقليل فاعله)). والحبیب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ قَدْ أُعْطِيَ زُهْدًا فِي الدُّنْيَا وَقَلَّةَ مَنْطِقٍ فَاقْتَرَبُوا مِنْهُ، فَإِنَّهُ يَلْقَى الْحِكْمَةَ)^{١٦}. أنا أريد أن أكون حكيماً، ويفتح العلي العظيم عز وجل لي كنوز حكمته، ماذا أفعل؟ الصمت:

الصمت معراج وجوعك طهرة والصمت رفرف حضرة التواب

هذا هو البراق الذي يرقى عليه العارفون، يُقال: فلان لا يتكلم إلا قليلاً، الشيخ مكين الدين الأسمر كان يقول فيه سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: مكين رجل من الأبدال، والشيخ مكين كان يعمل خياطاً، وكما

^{١٦} حلية الأولياء لأبي نعيم، وسنن ابن ماجه برواية "يلقى الحكمة" عن عبد الرحمن بن زهير رضي الله عنه

تعلمون فإن محل الخياط مكان لتجمع الناس وكثرة الكلام، ورغم ذلك كان يقول: قبل المغرب أحاسب نفسي على ما نطق به لساني في هذا اليوم، فأجدهم بضع عشرة كلمة، فما وجدته في الخير حمدت الله تعالى عليه، وما وجدته غير ذلك استغفرت الله عز وجل منه!!.

لو معك جهاز تسجيل صغير وسجلت كلامك في النهار فستسجل كم شريطاً؟! وكل كلمة إما لك وإما عليك: (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) (١٨ق) أي بعض قول، والرقيب العتيد هو الله عز وجل. كل كلمة ستحاسب عليها، ولذلك قيل: ((من عدّ كلامه من عمله قلّ كلامه))، والمؤمن لا ينطق بكلمة إلا إذا حسبها بفكره، ووزنها بعقله، ثم عرضها على قلبه، فإن أذن له بالنطق بما نطق بها، وإلا حفظها ولم يُخرجها، وهذا حال المؤمنين الصادقين.

إذا واطب الإنسان على هذا الجهاد رفعت عنه الحُجُب، وتولاه الله عز وجل بولايته، وجعل له حظوة عند أهل عنايته، فيحبونه لما يتسم به من أوصاف قرآنية، وأخلاق مُحَمَّدية، وإذا أحبوه ونظر الله في قلوب أحبائه أنهم يحبوه زيّنه الله عز وجل بزينة الصالحين، وجملّه بجمال المقربين، وحفظه من كل سوء في الدنيا، وأعطاه كتاب الأمان يوم الدين، لأن الله عز وجل آلى على نفسه ذلك في كتابه المبين وقال: (وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ) (١٥ لقمان) وأقرّ ذلك سيد الأولين والآخرين صلّى الله عليه وسلّم.

إذاً لا بد أن يكون معه في هذا الجهاد روح عبد نوراني شفافة تمنحه طاقة روحانية من وراء الوراثة ترفع عنه هذه الحُجُب الدنيوية والظلمانية، ثم تراقبه حتى ترفع عنه الحُجُب النورانية، حتى يكون من أهل التملّي من الحضرة المحمدية، ثم يكحله صلّى الله عليه وسلّم بإثم الأتقياء حتى يؤهله لقول ربّ البرية: (وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ. إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ) (٢٢، ٢٣ القيامة).

كثير من الأحباب يريد في لحظة -بدون جهاد - التجلي، أو يريد أن ينام فيرى نفسه في الملأ الأعلى، أو يرى في منامه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وهذا بغير جهاد، ويعتمد على شيخه!! هل المشايخ وصلوا من غير جهاد؟!، وهذا شيء غريب عند بعض الأحبة، لكن: (جاهد تشاهد). فإذا لم تجاهد فأنت ما زلت محبباً، وأنت في مقام طيب كونك محب، وستكون مع الأحباب يوم القيامة، لكن: (لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ) (٩٥ النساء).

هناك فرق كبير بين (منهم) وبين (معهم)، فمنهم أي شريك معهم ويحظى بفتحهم وفضلهم، وهذا يحتاج إلى جهاد، وهذا الجهاد لا يحتاج إلى تسويق ولا تأجيل، ولكن فوري، وليس فيه أجازة يوم أو يومين أو أسبوع، وليس له نهاية، يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه: ((لا ينتهي جهاد النفس حتى مع كَمَل العارفين إلا مع خروج النفس الأخير)) فيمادين الجهاد واسعة، فلا ينتهي الجهاد حتى خروج النفس الأخير:

ويفوز منا بالصفاء ويوالي

من كان منا يرانا ويودنا

فلا بد أن تجاهد لتشاهد، وهذه نصيحتي للأحبة، فالمقامات موجودة، والرُتب موجودة، وتريد من يشغلها، وهي تحتاج إلى جهاد بسيط، المهم أن تنوي، وبعد أن تنوي فالباقي على الله عز وجل، لكن تنوي بعزم أكيد. ولا

تضحك عليك نفسك وتحاول أن تُرضي شيخك، لكن يجب أن تُرضي الله، فالعلاقة بينك وبين الله مباشرة، ونحن نساعد بعض لكن المراقبة لنفسك ولله، ولنفسك مع الله جلّ في علاه.

وهناك جزء مهم، فقد قالوا: ((مَنْ لَا وَرْدَ لَهُ لَا وَرُودَ لَهُ))، فكثير من الأحبة تركوا الأوراد، بحجة أنها لأهل البدايات، لكن أهل النهايات لم يتركوا الأوراد، فالإمام الجنيد - وهو سيد الطائفة - في آخر أنفاسه يختم القرآن، ويمسك بالمسبحة في يده، وسُئل في ذلك فقال: "شيء وصلنا به إلى الله لا نتركه حتى نلقى الله". وقيل له: لماذا تقرأ الورد وأنت في هذه الساعة؟ قال: "وما في ذلك أن يكون آخر أنفاسي في الحياة الدنيا أن أختتمها بقراءة كلام الله جل في علاه"، وبعد أن انتهى من ورده كان مع الكريم عزّ وجلّ.

لذلك من هفوات النفس أن تنشط في رمضان، وبعد رمضان تترك الأوراد، أين مراقبتك لنفسك؟! فالشيخ لا يراقبك لأن الورد لله، فإذا لم تستغفر الله فكيف تنتظر فضل الله عزّ وجلّ؟!.

تُصلي على الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما تسمع اسمه لكن ليس لك ورد كالصالحين السابقين تُصلي فيه على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكيف تطمع في فضل الله على يد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! والسابقون كانوا يقولون: لا ينبغي لمن سلك طريق الصالحين أن يُقلل عن ثلاثمائة مرة في الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كل ليلة مع حضور القلب وصفاء الذهن. فإن كنت تُصلي على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما تسمع اسمه فهذا خير، لكن ليس كأهل القدر العالي.

ما الصلة التي بينك وبين كتاب الله؟! إذاً لا بد من الأوراد، ومجالس الذكر، فإذا غفلت عن ذلك فليس لك شيء، فمنهج الصالحين أن يحافظ الإنسان على ما كُلف به من الله، ومن رسول الله، ومن شيخه، لا يتخلى عن ذلك كله طرفة عين ولا أقل، فإذا راودته نفسه، فيجب أن يصدّها، فإذا صدّدتها فستنتهي، لكن إن استسلمت للنفس فستدخل في طور النسيان، ولم تصبح من الذين يقول فيهم الرحمن: (فَادْكُرُونِي أَدْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ) (١٥٢ البقرة).

نسأل الله عزّ وجلّ أن يبلغنا هذا المقام، وأن يمتعنا بهذا الإكرام، وأن يعيننا على أنفسنا، وأن ينصرنا عليها نصراً عزيزاً، ويفتح علينا فتحاً إلهياً، ويمنحنا سكيناً وطمانينة قلبية، ونشوة ومحبة روحانية، ويجعل لنا في أسرارنا أسراراً إلهية، نكون بها من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وصلى الله على سيدنا مُجد وعلى آله وصحبه وسلم
